أسلوب الكناية كظاهرة أسلوبية هامة في القرآن الكريم

سوكمتو سعيد

Abstract

One of the miracles of Qur'ān is its wording. Qur'ān was revealed in Arabic for the people who had a great attention on language aesthetics (literature) to convey the message and use various literary styles. One of them is *kinayah*.

This article examines the issue of the literary style in Qur'an, *kinayah*, which is multipurpose. It can be used to depict either human interest or godhead. *Kinayah* is used, among other things, because of the restriction on language to express certain ideas.

As a holy book for human that is valid forever, Qur'an uses *kinayah* to create new meanings, because the characteristic of *kinayah* is its possibility to be understood from "stem-meaning" (*al-ma'na al malzum*) point of view and from "derivative-meaning" (*al-ma'na al-lazim*) point of view.

The derivative meaning that emerged by *kinayah*, everyone has distinct perceptions based on their own reasons. There is a plural sense here that enables the understanding on Qur'an as well as means as a symbol of Qur'anic dynamism all the time.

Abstrak

Salah satu kemukjizatan al-Qur'an adalah redaksi yang digunakannya. Al-Qur'an yang diturunkan dalam bahasa Arab pada masyarakat yang mempunyai perhatian besar pada keindahan bahasa (sastra) dalam menyampaikan pesan-pesannya, menggunakan gaya bahasa yang sangat variatif. Di antaranya adalah gaya bahasa *kinayah*.

Artikel ini membicarakan fenomena gaya bahasa *kinayah* dalam al-Qur'an yang digunakan untuk berbagai macam tujuan, baik untuk mengungkapkan masalah-masalah kehidupan manusia, maupun masalah-masalah yang berkaitan dengan sifat ketuhanan. Gaya bahasa *kinayah* digunakan , antara lain, karena keterbatasan bahasa untuk mengungkapkan gagasan-gagasan tertentu.

Sebagai kitab petunjuk bagi manusia yang berlaku sepanjang masa sejak diturunkan, al-Qur'an memanfaatkan gaya bahasa *kinayah* untuk melahirkan makna-makna baru, sebab iri bahasa *kinayah* adalah kemungkinannya untuk dapat dipahami dari sisi "arti asal" (*al-ma'na al-malzum*) dan sisi "arti baru" (*al-ma'na al-lazim*) sekaligus.

Tentang arti baru yang ditimbulkan oleh bahasa *kinayah* ini, antara sesorang dengan yang lain dapat berbeda atas dasar alasan masing-masing. Di sini terletak pluralitas makna yang memungkinkan perkembangan pemahaman terhadap al-Qur'an, sekaligus juga merupakan tanda dinamika al-Qur'an , yang berlaku sepanjang masa, itu sendiri.

تمهيد:

يمتاز القرآن الكريم من بين الكتب السماوية الأخرى بأنه يهتم بروعة الأساليب اللغوية اهتماما يلفت أنظار الأدباء واللغويين ويشغلهم في بحوثهم حتى إنهم يبحثون عن إعجاز القرآن اللغوي في كل كلماته بل وحروفه ذلك لأن القرآن نزل بلسان قوم يفتخرون بروعة الأساليب. وقد كان من عادتهم أن يتحدى بعضهم بعضا في المساجلة والمقارضة بالقصيد والخطب ثقة منهم بقوة الطبع ولأن ذلك مذهب من مفاخرهم يستعلون به ويرفع لهم حسن الذكر وعلو الكلمة وهم مجبولون عليه فطرة[1]. وكان كلامهم مشتملا على التصريح

[1] مصطفى صدق الرافعي. إعجاز القرآن والبلاغة لنبوية. بيروت : دار الكتاب العربي ١٩٩٠, ص: ١٦٩

والكناية والحقيقة والمجاز والإيجاز والإطناب. فنزل القرآن بلسانهم بما فيه من أساليبهم المتنوعة. " نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين." [٢] "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " [٣] ومن خصائص الأسلوب القرآني براعته في تصريف القول وثروته في أفانين الكلام منها أسلوب الكناية. وقد اعتبرت العرب بأنها أبلغ من التصريح. فاستخدم القرآن هذا الأسلوب للتعبير عن هديه ومقاصده في كثير من آياته.

وفي القرآن مواطن لا يجمل فيها التصريح فيأتي القرآن بالرمز والإيماء وقد بلغ من حرصه عليهما أن يكني عن الحقائق الدينية الكبرى المتعلقة بذات الله وصفاته. وقصارى القول إن الكناية ظاهرة أسلوبية هامة في القرآن. ذلك لأن الكناية بإمكانها توليد المعاني الجديدة المتطورة بينما القرآن بوصفه هدى للناس في مختلف أمكنتهم وعصورهم يستثمر دائما أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني لمسايرة حركة حياتهم المتطورة.

تعريف أسلوب الكناية

صارت كلمة الأسلوب في هذه الأيام حقا مشتركا بين البيئات المختلفة. يستخدمها العلماء ليدلوا بها على منهج من مناهج البحث العلم ويستعملها الأدباء في الفن الأدبي قصصا أو جدلا أو تقريرا وفي العنصر اللفظي سهلا أو معقدا وفي إيراد الأفكار منطقية أو مضطربة وفي طريقة التخييل جميلة

[٢] سورة الشعراء من آية ١٩٣- ١٩٥

[٣] سورة إبراهيم آية ٤

أو مشوهة. ويستخدمها الرسامون ليدلوا بها على طريقة تأليف الألوان ومراعاة التناسب بينها. وهكذا حتى أصبحت ترادف كلمة الشخصية في المعنى.

والأسلوب لغةً سطر من النخيل, وكل طريق ممتد, والطريق , والوجه , والمذهب, والفن. ويقال: أنتم في أسلوب سوء أي مذهب سوء , كما يقال : أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه. فهناك قسمان: قسم حسي يمثل الوضع الأسبق للفظ وقسم معنوي يمثل الخطوة الثانية في الوضع اللغوي حين تنتقل الكلمات من معانيها الحسية إلى المعاني النفسية أو الأدبية. فالأسلوب في الاصطلاح طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني بقصد الإيضاح أو التأثير.[٤]

والكناية لغةً ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره. وهي مصدر كنيت أو كنوت بالشيء عن كذا إذا تركت التصريح به.[٥] وهي اصطلاحا لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته.[٦] وبعبارة أخرى إن الكناية هي اللفظ الدال على ما ليس له صلة بمعناه الوضعي. والفرق بينها وبين المجاز أن المعنى الأول الوضعي في الكناية غير ممنوع لعدم قرينة مانعة من إرادته بينما هو في المجاز ممنوع لقرينة مانعة من إرادته. وعلى هذا فالكناية تخالف المجاز من ناحية جواز إرادة المعنى الأصلي الحقيقي فيها بعكس ما في المجاز.

---

[٤] أحمد الشايب. الأسلوب , دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية, القاهرة : مكتبة النهضة المصرية, ص ٤٠-٤١

[٥] لويس معلوف, المنجد في اللغة والأعلام, ص ٧٠١

[٦] أحمد الهاشمي, جواهر البلاغة , ص ٣٤٦

إذا أطلق اللفظ وكان المراد منه غير معناه فلا يخلو إما أن يكون معناه الأصلي مقصودا أيضا ليكون وسيلة إلى المراد وهذه تسمى كناية, وإما أن لا يكون مقصودا وهذا يسمى مجازا. فعبارة "هو حارس على ماله" يمكن فهمها على معناها الأصلي إلا أن المراد منها ربما ليس كذلك إذا أريد بها الكناية عن البخيل, أما عبارة " رأيت أسدا يصلي في المسجد" لا يمكن فهمها على معناها الأصلي لأن الأسد لا يصلي فالمراد بها الرجل المشبه بالأسد.

على الرغم من وجود الفرق بين الكناية والمجاز إلا أن هناك أربعة مذاهب وهي :

١-إن الكناية حقيقة وهو الظاهر عند ابن عبد السلام لأنها وضعت فيما وضعت له وأريد بها الدلالة على غيره.

٢-إنها مجاز لدلالتها على غير ما وضعت له

٣-إنها لا حقيقة ولا مجاز وإليه ذهب صاحب التلخيص وذلك لأنها تدل على غير ما وضعت له كما هو في المجاز إلا أنها لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي فتخالف المجاز في هذا الأخير .

٤-إنها تنقسم إلى حقيقة ومجاز: فإن استعمل اللفظ في معناه مرادا منه لازم المعنى أيضا فهو حقيقة وإن لم يرد المعنى بل عبر بالملزوم (المعنى الوضعي) عن اللازم (المعنى الجديد الغير الوضعي) فهو مجاز لاستعماله في غير ما وضع له. وهذا اختيار تقي الدين السبكي.

مما سبق يمكننا أن نقول أن بين الكناية والمجاز أوجه شبه وأوجه فرق كما مر.

أقسام الكناية

تنقسم الكناية من حيث المعنى الذي تشير إليه إلى ثلاثة أقسام وهي:

١- كناية عن صفة فهي ما كان المكني عنه فيها صفة ملازمة لموصوف مذكور في الكلام مثل قول الله تعالى: "فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها .."[٧] والصفة التي تلزم من تقليب الكفين الندم والحزن لأن النادم والحزين يعملان ذلك عادة. مما يدل على هذا النوع من الكناية ذكر الموصوف ملفوظا أو ملحوظا من سياق الكلام.

٢- كناية عن موصوف وهي ما كان المكني عنه موصوفا أي ذاتا ملازما للمعنى المفهوم من الكلام, مثل قوله تعالى :" أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين" [٨] الموصوف المراد هنا هو البنت لأن أهلها يجملونها بالحلية وأنواع الزينة منذ أول نشأتها. يدل على هذا النوع من الكناية ذكر الصفة مباشرة أو ملازمة.

٣- كناية عن نسبة وهي الكناية التي يراد منها نسبة أمر لآخر إثباتا أو نفيا. فيكون المكني عنه نسبة أسندت إلى ما له اتصال به مثل: " اليمن يتبع ظله" أي إن اليمن يتبعه أينما سار. واتباع اليمن ظله يستلزم نسبته إليه.

ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة نوعان. فالكناية عن صفة إما أن تكون الكناية فيها قريبة وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه والمعنى المنتقل إليه, مثل : "علي طويل النجاد" . إذ يلزم من ذلك طول قامة صاحبه. فالانتقال هنا إلى الصفة بغير واسطة.وإما أن تكون

---

[٧] سورة الكهف, آية ٤٢

[٨] سورة الزخرف, آية ١٨

بعيدة وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة أو بوسائط , مثل : "فلان كثير الرماد" كناية عن المضياف. فالوسائط هنا هي الانتقال من كثرة الرماد إلى كثرة حرق الحطب إلى كثرة الطبخ والخبز إلى كثرة الضيوف إلى الكرم وهو الصفة المطلوبة. والكناية عن موصوف إما أن يكون المكني عنه معنى واحدا , وذلك مثل "موطن الأسرار" كناية عن القلب. وإما أن يكون مجموع معان, وذلك مثل : جاءني "حي مستوي القامة عريض الأظفار" كناية عن الإنسان لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به. أما الكناية عن نسبة فإما أن يكون ذو النسبة مذكورا فيها, مثل: " المجد يمشي في ركابه", وإما أن يكون ذو النسبة غير مذكور فيها, مثل: ".الناس من ينفع الناس", كناية عن نفي الخيرية عمن لا ينفعهم.

ومن ناحية الوسائط والسياق تنقسم الكناية إلى أربعة أقسام هي:

١) التعريض

٢) التلويح

٣) الرمز

٤) الإيماء أو الإشارة

أما التعريض لغةً خلاف التصريح, واصطلاحا أن يطلق الكلام ويشاربه معنى آخر يفهم من السياق, مثل قولنا للمؤذي المسلم :" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده", تعريضا بنفي صفة الإسلام عن المؤذي, وهذا داخل في قسم الكناية عن نسبة.

والتلويح لغةً الإشارة إلى الغير من بعد, واصطلاحا هو الذي كثرت وسائطه بلا تعريض, مثل:

وما يك فيّ من عيب فإني # جبان الكلب مهزول الفصيل

هذا داخل في قسم الكناية عن صفة لأنه كناية عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب مهزول الفصيل .فإن بين العبارة والصفة المقصودة جملة وسائط.

والرمز لغةً الإشارة إلى قريب منا خفية بنحو شفة أو حاجب, واصطلاحا هو الذي قلّت وسائطه مع خفاء في اللزوم بلا تعريض, مثل "غليظ القلب" كناية عن القسوة و "عريض القفا" كناية عن البلادة وهما داخلان في قسم الكناية عن صفة. أما الإيماء أو الإشارة فهي التي قلّت وسائطه مع وضوح اللزوم بلا تعريض, مثل قول الشاعر:

أ و ما رأيت لمجد ألقى رحله # في آل طلحة ثم لم يتحوّل

كناية عن كونهم أمجادا أجوادا بغاية الوضوح. وهذا أيضا داخل في الكناية عن صفة[٩].

الكناية في اللغة العربية

الكناية لون من ألوان التعبير البياني وقد عني بها نقاد العرب وعرفوا لها مكانتها في الإيضاح والتأثير لأنها وردت في كلام العرب والأحاديث النبوية والقرآن الكريم. والكناية أحد الأقطاب التي تدور البلاغة عليها وهي أبلغ من الإفصاح في كثير من المواضع, لأنها تزيد في إثبات المعنى فتجعله أبلغ وآكد

[٩] أحمد الهاشمي . جواهر البلاغة. القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ج ١ , ١٩٦٥ , ص ٣٤٧ - ٣٥١

وأشدّ. قال عبد القاهر : فليست المزية في قولهم " جم الرماد" أنه دلّ على قرى أكثر بل إنك أثبتّ له القرى الكثير من وجه هو أبلغ وأوجبته إيجابا هو أشدّ وادّعيته دعوى أنت بها أنطق وبصحتها أوثق... فإذا جعلوا للكناية مزية على التصريح لم يجعلوا تلك المزية في المعنى المكني عنه ولكن في إثباته للذي ثبت له.[١٠] فكل عاقل يعلم أن إثبات الصفة بإثبات دليلها آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجا.

إن هناك أمورا يمكن أخذها في الاعتبار لتأكيد أن الكناية أبلغ من التصريح منها :

١-إن لكناية تصنع لنا المعاني في صورة لمحسوسات, فإذا أردنا أن نعبر عن بلادة أحد وهي شيء معنوي قلنا على سبيل الكناية :" فلان عريض الوسادة أغم القفا ". إن عرض الوسادة يستلزم طول العنق وهذا كما يزعم العرب يستلزم البلادة عادة. وكذلك غم القفا (أي غزارة شعر القفا) يستلزم ضيق القفا, وكان يزعم العرب أن ذلك دليل الغباوة. وهذا التعبير يصور لنا شيئا محسوسا للمعاني الغير المحسوسة.

٢-إن الكناية تعطينا الحقيقة مصحوبة بدليلها, مثل: " المستمعون يرددون النظر إلى ساعاتهم" كناية عن السآمة من سماع المحاضرة أو الخطابة مثلا, فقد أريد بذلك أنهم يملّون ويسأمون بدليل أنهم يرددون النظر إلى ساعاتهم رغبة في سرعة الانتهاء والقيام بنشاط آخر أهم من ذلك.

---

[١٠] أحمد مطلوب. فنون بلاغية البيان البديع. الكويت: دار البحوث العلمية, ١٩٧٥ ص : ١٨٦ – ١٨٧

٣-إن الكناية تمكننا من أن نشفي غلتنا من خصمنا من غير أن نجعل له إلينا سبيلا ودون أن نخدش وجه الأدب, مثل قولنا للمسلم الذي يؤذينا : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"

٤-إن الكناية في إمكانها أن تعبر عما فحش ذكره في السمع بعبارة لا ينبو عنها السمع والطبع.[١١] مثل قوله تعالى في الكناية عن الجماع بالمباشرة : " فالآن باشروهنّ" [١٢] فكنى بالمباشرة عن الجماع لما فيه من التقاء البشرتين, أو باللباس كقوله تعالى : "هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن".[١٣] فكنى بالملابسة عن الجماع لما فيه من الملابسة وهي الاختلاط والجماع.

٥-إن الكناية تقرب إلى الناس أسمى الحقائق بواسطة الخيال حيث إن محدودية اللغة تحتاج إلى الخيال لتقريب الفهم. ومن ثم نفهم قوله تعالى : "بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء" [١٤] بأنه كناية عن سعة جوده وكرمه. وقوله تعالى : " والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه" [١٥] بأنه كناية عن عظمته تعالى وجلاله.

لقد كان أسلوب الكناية ظاهرة شائعة في كلام العرب دلت عليها كثرة وجودها في نثرهم و نظمهم , منها ما يلي :

- فلان لا يضع العصا من عاتقه , كناية عمن يكثر الأسفار

---

[١١] أحمد الهاشمي. نفس المصدر. ص ٢٥٤ -٢٥٥

[١٢] سورة البقرة من آية ١٨٧

[١٣] سورة البقرة نفس الآية

[١٤] سورة المائدة آية ٦٤

[١٥] سورة الزمر آية ٦٧

- فلان بريء الساحة, كناية عمن برئ من التهمة
- تسافر يده على الخوان ويرعى أرض الجيران, كناية عمن يسيء الأدب في المؤاكلة[١٦]

وهناك نماذج للأسلوب الكنائي في النظم , قال المتنبي في وقيعة سيف الدولة ببني كلاب:

فمسّاهم وبسطهم حرير # وصبّحهم وبسطهم تراب

ومن في كفه منهم قناة # كمن في كفه منهم خضاب[١٧]

كنى بكون بسطهم حريرا عن سيادتهم وعزتهم, وبكون بسطهم ترابا عن حاجتهم وذلهم, وكنى بمن يحمل قناة عن الرجل , وبمن في كفه خضاب عن المرأة . وقال إنهما سواء في الضعف أمام سطوة سيف الدولة وبطشه.

وقال بعض العرب :

ألا يا نخلة من ذات عرق # عليك ورحمة الله السلام[١٨]

فإنه كنى عن المرأة لتي يحبها بالنخلة

وقال المعري في السيف :

سليل النار دقّ ورقّ # كأنّ أباه أورثه السلال[١٩]

فإنه كنى بسليل النار عن السيف, لأن للنار شأنا كبيرا في صنع السيف, فكأنها ولدته وأنتجته.

---

[١٦] أحمد الهاشمي.نفس المصدر . ص : ٣٤٦

[١٧] علي الجارم ومصطفى أمين. البلاغة الواضحة. جاكرتا : جيامرتي , ١٩٧٣, ص : ١٢٥

[١٨] علي الجارم ومصطفى أمين. نفس المصدر. ص ١٣٢

[١٩] علي الجارم ومصطفى أمين. نفس المصدر. ص: ١٢٧

أسلوب القرآن الكريم

إن القرآن الكريم يستثمر دائما أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني . لننظر على سبيل المثال قوله تعالى : " ليس كمثله شيء[٢٠]" إن حرف الكاف قائم بقسط جليل من المعنى المقصود وأنه لو سقط منها لسقطت معه دعامة المعنى. وتبين ذلك أنه لو قيل " ليس مثله شيء" لكان ذلك نفيا للمثل المكافئ وهو المثل التام المماثلة فحسب. وإذاً لدبّ إلى النفس دبيب الوساوس والأوهام أن لعل هناك رتبة لا تضارع رتبة الألوهية ولكنها تليها. فكان وضع هذا الحرف (الكاف) في الكلام إقصاء للعالم كله عن المماثلة وعما يشبه المماثلة وما يدنو منها كأنه قيل: " ليس هناك شيء يشبه أن يكون مثلا لله. فضلا عن أن يكون مثلا له على الحقيقة.

ومن الأساليب التي انفرد بها القرآن الكريم التصوير فهو يعبر بالصورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية والطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة. فهو بهذا التصوير ينقل المستمع من حالة السماع إلى حالة المشاهدة حيث تتوالى المناظر وتتجدد الحركة مع أنه إنما استمع كلاما يتلى ومثلا يضرب.[٢١] فلنلاحظ قول الله تعالى : " إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط.. "[٢٢] يبين الله تعالى فيها أن

---

[٢٠] سورة الشورى . آية ١١

[٢١] سيد قطب. التصوير الفني في القرآن. القاهرة : دار المعارف, ١٩٧٥, ص: ٣٤

[٢٢] سورة الأعراف, آية ٣٩

الذين كفروا لن ينالوا القبول عند الله ولن يدخلوا الجنة إطلاقا, وأن القبول أو الدخول أمر مستحيل. فهذا تعبير عن المعنى الذهني بالصورة الحسية. وقول الله تعالى : "ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأنّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة .."[٢٣] يوضح تعالى حالة تزعزع العقيدة حيث لا يستقر الإنسان على يقين ولا يتحمل ما يصادفه من الشدائد بقلب راسخ ولا يجعل عقيدته في معزل عن ملابسات حياته, بعيدة عن ميزان الربح. يرسم لهذا التزعزع صورة تهتز وتترنح وتوشك على الانهيار. إن الخيال ليكاد يجسّم هذا الحرف الذي يعبد الله عليه هذا البعضُ من الناس وأنه ليكاد يخيل الاضطراب الحسي في وقفتهم وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب.[٢٤]

وإذا كان التصوير هو الأداة المفضلة في الأسلوب القرآني والقاعدة الأولى للبيان, فإن التخييل والتجسيم هما الظاهرتان البارزتان في هذا التصوير. ويتمثل التخييل في قوله تعالى : " والصبح إذا تنفس" حيث يخيل إلينا هذه الحياة الهادئة التي تنفرج عنها ثناياه. والصبح يتنفس فتتنفس معه الحياة, ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض. بينما يتمثل التجسيم في قوله تعالى : "ومن ورائهم عذاب غليظ.. "[٢٥] حيث وصف العذاب بأنه غليظ.وقوله تعالى : " ويذرون وراءهم يوما ثقيلا.. "[٢٦] حيث وصف اليوم بأنه ثقيل.

---

[٢٣] سورة الحج آية ١١

[٢٤] سيد قطب. المصدر السابق . ٤٢

[٢٥] سورة إبراهيم آية ١٧

[٢٦] سورة الدهر آية ١٥

ظاهرة أسلوب الكناية في القرآن

ومن الأساليب الشائعة في القرآن أسلوب الكناية , إذ بإمكان هذا الأسلوب التعبير عن المعاني الكثيرة بقلة الألفاظ. وتمتاز الكناية في القرآن بأنها في كثير من المواضع يمكن فهمها من ناحية المعنى اللازم والملزوم على السواء.[٢٧] فلنلاحظ الآية التالية: " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.[٢٨] هذا وصف حسي لمشيهم ولقائهم فهم يمشون غير مسرعين ولا متباهين بل يمشون مشيا هينا لا سرعة فيه ولا إبطاء, وإذا خاطبهم الحمقى لا يماروهم و يجادلون وملاحاة السفهاء ليست من دأب العقلاء. هذا هو الظاهر وهو المراد, ولكن المقصود مع هذا هو وصفهم بتقوى الله وخوفه, والاطمئنان إلى عفوه, فيلتقي الخوف بتكبير الذنوب مع الرجاء في العفو والغفران. والمعاني الثانية ملازمة للأولى, فكان المراد ابتداء هو اللازم والملزوم في ذاته, ولكن السياق كان الثاني[٢٩].

ولنلاحظ قوله تعالى حكاية عن وصية لقمان لابنه : "يا بني إنها إن تك مثقال ذرة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير."[٣٠] يراد بها ما تحويه الألفاظ الظاهرة من معان عالية, وفيها إثبات قدرة الله تعالى بإخراج حبة الخردل من صخرة أو في السماوات أو في الأرض. هذا هو ما تدل عليه الألفاظ. وهناك اللازم لهذا وهو إثبات علم الله

---

[٢٧] محمد أبو زهرة. المعجزة الكبرى القرآن . دار الفكر العربي, ١٩٧٠, ص:٢٤٨

[٢٨] سورة الفرقان آية : ٦٣

[٢٩] محمد أبو زهرة . نفس الصفحة

[٣٠] سورة لقمان آية ١٦

الذي لا تخفى عليه خافية وإثبات قدرة الله تعالى الذي لا يعجز عن شـــيء في السماء ولا في الأرض. ولازم لهذا اللازم هو البعث والنشور. لأنه إذا كـان الله تعالى قادرا على أن يأتي بالحبة من الصخرة أو من أي جزء من السماء والأرض فهو قادر على إعادة ما خلق. وقوله تعالى: " ولا تصعر خدك للناس و تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض مـن صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" .[٣١] إن هذه الأوامر يراد منها مـــا يدل عليه ظاهر الألفاظ من أنه لا يصعر خده بأن يميله عن شكله فلا يقبل عليه بكل وجهه, ومن أنه يقصد في مشيه فلا يتباطأ ولا يسرع بل يســـير بتـؤدة واطمئنان, ومن أنه يغضض من صوته فلا يتعالى ويتكلم صياحا. ويراد أيضـــا معنى لا زم لهذا (معنى خارج معناه الوضعي) وهو التطامن والاتصال بالنـــاس اتصال رفق ومودة من غير كبرياء وأن لا يغمط الناس حقوقهم وأن لا يبطـــر نعمة الله تعالى, وأن لا يدلي نفسه بغرور.

ومن النصوص التي يمكن فهمها من ناحية اللازم والملزوم على الســـواء قوله تعالى : "وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفـــس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده عل الوارث مثل ذلك. فـــإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فـــلا جنـــاح عليـــهما . وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف, واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير[٣٢]." فهمت هذه لآية بالنص وفهم معان أخرى

---

[٣١] سورة لقمان آية ١٨-١٩

[٣٢] سورة البقرة آية ٢٣٣

كنتيجة له : أولا, أن المولود ينسب إلى أبيه لا إلى أمه. ثانيا, أن المولود لأبيه له شبه ملكية فمال الولد لأبيه عليه نوع الملك. فلقد صرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم: " أنت ومالك لأبيك". ثالثا: أن الأب لا يشاركه في نفقة ولده أحد وأن الولد لا يشاركه في نفقة أبيه أحد. رابعا, أن الأصل في الإرضاع أن يكون على الأم. خامسا, أن فصل الولد الذي لا إرادة له عن الأم في رضاعته يكون عن تراض منهما وتشاور[٣٣].

وهناك أغراض خاصة من الكناية منها:

١-التنبيه على عظم القدرة, كقوله تعالى : "هو الذي خلقكم من نفس واحدة". [٣٤] كناية عن آدم عليه السلام.

٢-فطنة المخاطب كقوله تعالى في قصة النبي صلى الله عليه وسلم وزيد : " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله .. [٣٥] فكنى عن زيد بأحد من رجالكم.

٣-ترك اللفظ إلى ما هو أجمل, كقوله تعالى : "إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ." [٣٦] كنى بالنعجة عن المرأة

٤-أن يفحش ذكره في النفس فيكنى عنه بما لا ينبو عنه الطبع, كقوله تعالى: " فالآن باشروهن .." [٣٧] كنى بالمباشرة عن الجماع لما فيه من التقاء

---

[٣٣] أنظر محمد أبوزهرة . المصدر السابق. ص: ٢٥٢-٢٥٣

[٣٤] سورة الأعراف آية ١٨٩

[٣٥] سورة الأحزاب آية ٤٠

[٣٦] سورة ص آية ٢٣

[٣٧] سورة البقرة آية ١٨٧

البشرتين. ومنها قوله تعالى : "كانا يأكلان الطعام .." [٣٨] كنى بأكل الطعام عن البول والغائط.

٥-تحسين اللفظ, كقوله تعالى : " كأنهن بيض مكنون" [٣٩] كناية عن حرائر النساء, فإن العرب كانت من عادتهم أن يكنوا عن عن حرائر النساء بالبيض.

٦-قصد البلاغة, كقوله تعالى : " أومن ينشّؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين" [٤٠] فإنه تعالى كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين والتشاغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني. والمراد نفي الأنوثة عن الملائكة وكونهم بنات الله تعالى لله عن ذلك.

٧-قصد الاختصار, ومنه الكناية عن أفعال متعددة بلفظ "فعل" كقوله تعالى: "ولبئس ما كانوا يفعلون" [٤١] وقوله تعالى:" ولو أنهم ما فعلوا ما يوعظون به " [٤٢].

ولا يقتصر استخدام الأساليب الكنائية في القرآن على الشؤون الخلقية والشرعية والحياتية وإنما أكثر من ذلك حيث استخدمها كثيرا للتعبير عن الحقائق الدينية الكبرى فقد كنى عن الشؤون الغيبية بالمفاتيح, قال تعالى:

---

[٣٨] سورة المائدة آية ٧٥

[٣٩] سورة الصافات آية ٤٩

[٤٠] سورة الزخرف آية ١٨

[٤١] سورة المائدة آية ٧٩

[٤٢] سورة النساء آية ٦٦

"وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو. "[٤٣] وكنى عن الملك بالاستواء على العرش, قال تعالى :"الرحمن على العرش استوى".[٤٤]

لقد دار النقاش بين السلف والخلف حول هذه المسائل المتعلقة بالآيات المتشابهة. منهم من يفوض أمرها إلى الله تعالى ويؤمن بما جاء في القرآن كما هو بدون تأويل, ومنهم من حمل اللفظ الذي يستحيل ظاهره على معنى يليق بذات الله فيقوم بتأويل يليق بجلاله تعالى. ومع ذلك فإن الكناية تختلف عن المجاز إذ يجوز في الكناية فهم المعنى الوضعي إذ ليس هناك مانع في ذلك وبعبارة أخرى المعنى اللازم والملزوم.

إن هذين الفريقين المؤولين المفوضين والمؤولين في حقيقة الأمر يرغبان في تنزيه الله تنزيها يتفق مع وجهة كل منهما. فالمذهب السلفي لا يجترئ أن يقول عن الله فيما لا يعلم فاكتفى بما جاء في القرآن بينما المذهب الخلفي يرغب في تنزيه الله عن التجسيم إذ ليس كمثله شيء فيقوم بتأويل ما يدل في الظاهر علي التجسيم . إنما المشكلة هي مشكلة محدودية اللغة حيث لا تستطيع اللغة الإنسانية أن تعبر عن شيء ليس كمثله شيء.

وفي هذا الصدد رأى ابن اللبان أن أفعال العباد لا بد من توسط الجوارح مع أنها منسوبة إليه تعالى. وبذلك يعلم أن لصفاته تعالى في تجلياتها مظهرين : مظهر عبادي منسوب لعباده وهو الصور والجوارح الجسمانية ومظهر حقيقي

---

[٤٣] سورة الأنعام آية ٥٩

[٤٤] سورة طه آية ٣

منسوب إليه تعالى. وقد أجريت عليه تعالى أسماء المظاهر العبادية المنسوبة لعباده على سبيل التقريب لأفهامهم والتأنيس لقلوبهم.[٤٥]

خاتمة

إذا كان القرآن يستثمر دائما أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني بحكم أنه هدى للناس في جميع الأمكنة والعصور منذ نزوله فاستخدام الأساليب التي "قلّت ودلّت" أمر لا بد منه, ومنها أسلوب الكناية. إذ بإمكانها توليد المعاني الجديدة عن طريق لوازم معانيها. وقد شاع استخدام هذا الأسلوب في أوساط العرب حيث نزل عليهم القرآن فلا غرو أن استخدمه القرآن للتعبير عن هديه.

ومن ثم ينبغي لنا الالتجاء إلى مفهوم هذا الأسلوب في تفهم الآيات القرآنية بمعنى أننا لا بد من ملاحظة المعاني اللازمة والملزومة للآيات القرآنية على السواء حتى اتسعت آفاقنا وأفهامنا تجاهه, ذلك لأن الألفاظ لا تفيد المعاني بذاتها ولكن المفكر هو الذي يعطي المعاني للنصوص, فقد يكون للنص الواحد معان عديدة. فما أكثرت المعاني الرائعة التي يمكن الحصول عليها إذا انطلقنا من هذا المنطلق : المعاني اللازمة والملزومة. والله أعلم بالصواب

[٤٥] صبحي الصالح. مباحث في علوم القرآن بيروت : دار العلم للملايين, ١٩٧٧ , ص: ٢٨٦

المراجع:

القرآن الكريم

الرافعي. مصطفى صدق, إعجاز القرآن والبلاغة لنبوية. بيروت : دار الكتاب العربي ١٩٩٠

الشايب. أحمد, الأسلوب , دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية, القاهرة : مكتبة النهضة المصرية, بدون السنة

لويس معلوف, المنجد في اللغة والأعلام, بدون السنة

الهاشمي . أحمد, جواهر البلاغة. القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ج ١ , ١٩٦٥

مطلوب, أحمد. فنون بلاغية البيان البديع. الكويت: دار البحوث العلمية, ١٩٧٥

علي الجارم ومصطفى أمين. البلاغة الواضحة. جاكرتا : جيامرني , ١٩٧٣

سيد قطب. التصوير الفني في القرآن. القاهرة : دار المعارف, ١٩٧٥

أبو زهرة. محمد, المعجزة الكبرى القرآن . دار الفكر العربي, ١٩٧٠

صبحي الصالح. مباحث في علوم القرآن بيروت : دار العلم للملايين, ١٩٧٧